التنوعات النطقية السامية للأصوات اللغوية المقلقلة

د. حسين مصطفى غوانمة*
د. محمود مبارك عبد اللّه عبيدات**

* أستاذ مساعد/ قسم اللغة العربية/ كلية الآداب/ جامعة الإسراء/ عمان/ الأردن.
** أستاذ مساعد/ قسم اللغة العربية/ كلية الآداب/ جامعة العلوم الاسلامية العالمية.

ملخص:

يقدم هذا البحث في محاوره عرضًا للأصوات اللغوية المقلقلة لا في العربية وحسب، وإنّما يمتد العرض للحديث عنها ساميًّا، علّ المثاقفة فيه تبرز شيئًا من البحث حولها، لاسيما في التحولات النطقية لهذه المجموعة من الأصوات، وفي الأشكال الصوتية المنطوق بها، فنحن بحاجة إلى دراسات سامية عن أصواتنا اللغوية، تهدف إلى تحديد محاور هذا البحث،من حيث مخارجها، وصفاتها، وتقلباتها. والعلة في ذلك تباين آراء علماء اللغة، قدماء ومحدثين، في وصف هذه الأصوات، فمن الطبيعي عندئذ أن يقف هذا البحث على هذا الاختلاف؛ ليصل إلى نقاط التلاقي وأسباب الاختلاف في تحديد ماهية هذه الأصوات، فكان النظر فيها ساميا ليتم تحديد ملامح الالتقاء والاختلاف في هيئة هذه الأصوات كدليل راسم لتنوعاتها النطقية.

Abstract:

The research deals with linguistic sounds not only in the Arabic language but also extends to cover Semitic languages as well. Hopefully, the discussion on this will highlight important issues pertaining to the topic especially the vocalization changes affecting this group of sounds and spoken sound forms. What we need are Semitic studies of the linguistic sounds aiming at identifying the aspects of this research in terms of sounds exits, qualities and changes affecting them. The research proposes that the reason of this is due to differences among linguists of all times in terms of describing these sounds. It is imperative for this research to pause a little at such difference to reach at the end a meeting point and identify reasons behind such differences.

المدخل:

في هذا البحث إطلالة على أصوات الباء، والقاف، والجيم، والدال، والطاء في الدرس السامي، لا يحسن أن تدفع بنكران. وهي الموسومة بتسمية: (التنوعات النطقية الساميّة للأصوات اللغوية المقلقلة) .

وقد خلص البحث إلى أن أصوات (قطب جد) في اللغات السامية أسلوب عمل مشروع، رغم صعوبة تأطيرها في السامية. فإذا لم يكن هناك لغة سامية واحدة تخلو من عدد من أصوات الحلق والإطباق. والمقصود هنا بوجود أصوات الحلق والإطباق كونها في اللغات السامية تكون فونيمات متميزة، فإنّه ليس هناك لغة سامية تخلو من أصوات لغات أخرى.

ومما يعوق البحث على وجه الخصوص أنّ نصوص اللغات السامية التي تحت أيدينا– كما عبر عن ذلك نولدكة في كتابه اللغات السامية– لا تعبر تعبيرًا كافيًا عن أصوات تلك اللغات. وعليه فليس ثمة مشكل في الطرح الذي يفسر أصوات القلقلة، وإنّما المشكل في شح النصوص التي تفسّر هذه الأصوات، وتصفها في اللغات السامية.

والحقيقة أننا لا نقدم قراءة منتهية للأصوات الخمس في درسها السامي، ولا في قضاياها، بقدر ما نقدمه من قراءة مثيرة كانت أو بدائية حولها. فالمشكل في الطرح طريقة التحديد، والسهل في العرض ما عُرف. إذ القطعيّة في محدودية المقدم حول الدرس السامي، المحدَّد لمجال الدرس هنا أيًّا كان فيه أو عنه، والبدائية في خوض غمار هذا الموضوع كشفًا عن ساميته. فالقراءة إذن لا نهائية لتلك الأصوات، أو هي بالأحرى قراءة أولى.

فالموضوع يستدعي العرض، و الطريقة تنبىء عن ذلك، وفي ذلك هدف للكشف عنه، إثارة للمختصص في السامية البحث فيه، إذ الموضوع يُغنى بالطرح وبالمعاينة، ونحن هنا نقدم طرحًا لا معاينة، إذ هي مجال اختصاص اللغوي الصوتي السامي.

والبحث يعرض المفاهيم، حول القضايا الآتية، وهي: مخرج الأصوات وصفاتها، ووجودها في اللغات السامية، وقلقلتها.

مخرج الباء وصفاته:

يتفق علماء اللغة، قدماء ومحدثون، على تحديد مخرج صوت الباء، فقد حدد سيبويه [١] ، وابن جني [٢] ، وابن يعيش [٣] مخرج الباء ما بين الشفتين، واتفق معهم المحدثون، أمثال: إبراهيم أنيس [٤] ، وكمال بشر [٥] .

يخرج صوت الباء عند النطق به من الشفتين، حيث يقف الهواء الصادر من الرئتين وقوفًا تامًا عند الشفتين، إذ تنطبق هاتان الشفتان انطباقًا تامًا كاملًا، ويضغط الهواء مدة من الزمن، ثم تنفرج الشفتان،فيندفع الهواء فجأة من الفم، محدثًا صوتًا انفجاريًا [٦] .

وينطق صوت الباء بضم الشفتين، ورفع الطبق، ليغلق ما بين الحلق و التجويف الأنفي مع ذبذبة الأوتار الصوتية، فهو صوت شفوي انفجاري مجهور [٧] .

وليس للباء نظير مهموس في اللغة العربية، ومن هنا نلاحظ خطأ كثير من العرب في نطق صوت الباء المهموس، الموجود في الإنجليزية (p) [٨] .

الباء في السامية:

اللغة السامية تحتوي في ما يبدو على الثالوث الآتي، المتركب من حروف شديدة:

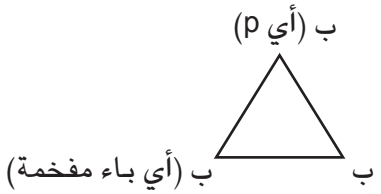

أما العربية القديمة، فقد تهدم فيها نظام تلك الأصوات، وذلك بأن اضمحلت الباء المفخمة (المشكوك بوجودها في الحقيقة) ، بأن صار الصوت المهموس ب (p) صوتًا رخوًا شفويًا أسنانيًا هو الفاء [٩] . وبذلك يرى هنري فليش أنّ الفاء الشفوية تتمثل في الباء النَّفسية القديمة (p) [١٠] .

وهذا التحول الذي يصيب الصوت الشفوي الشديد المهموس (ب) إلى الصوت الرخو المهموس (ف) ، يرى بروكلمان أنه يقع في السامية الجنوبية (العربية والحبشية). أما السامية الشمالية (العبرية و الآرامية) ، فيرى أنّ هذه الرخاوة لا تصيبها، وفي الصوت المقابل ب v <، إلا عن طريق تأثير الأصوات الصامتة بالحركات [١١] .

وقد ذهب إسماعيل عمايرة مؤكدًا أنّ العربية تخلو من النظير لصوت الباء حين قال: «إنّ العربية تخلو أصلا من حرفي (v) وهو الشكل اللين للباء، و (p) وهو الشكل القاسي للفاء، ويذهب علماء الساميات إلى أنّ (p) صوت سامي أصيل، ويقدرون أنه كان من أصوات السامية الأم، وليس غريبًا أن يكون قد انقلب في كل أوضاعه في العربية إلى فاء، إذ أمر انقلابه إلى فاء ظاهرة معروفة في اللغات السامية وغيرها» [١٢] . فالشكلان (v) و (p) هما النطقان الآخران لصوت الباء، وليس لهما نظير في العربية.

وعلى الرغم من هذا الاختلاف في الشكل المنطوق لصوت الباء، فإنّ بروكلمان يستنتج من موازنة اللغات السامية بعضها ببعض، أنها اشتركت في الأصل يومًا ما في أصوات منها: صوتان شديدان يتكونان بإغلاق الشفتين (شفوي) أحدهما مهموس ذو نطق هائي والثاني مجهور [١٣].

وقد أصابت التغيرات التاريخية الأصوات، ومن ذلك تطور الباء المهموسة (p) في اللغة السامية الأم، إلى (فاء) في اللغات السامية الجنوبية، وهي العربية و الحبشية، وبقي الأصل كما هو في اللغات السامية الشمالية، وهي العبرية والآرامية و الأكادية [١٤].

يبدو أنّ هذا التعدد يقع من مبدأ الانتقال من (ب) إلى (v) إلى (p) ، ولعلنا لا نغالي إذا قلنا: إن هذا التعدد يقع في التدرج النطقي لهذه الأشكال في الجهر ترتيبًا، ولعل هذا التحوّل الذي يصيب صوت الباء مرده إلى وجود (v) و (p) في لغات غير اللغة السامية التي تنطق (ب) هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنّ التعدد النطقي للباء أمر طبيعي، إذ ليست الفروق بين الباء و بين شكليها عميقة، بل العكس ربما سهولة النطق بهما تجعل التعدد أمرًا ممكنًا إذا ما قلنا بأنّ اللسان السامي ينحرف قليلًا عن أصله من فرد إلى آخر، ومن منطقة إلى أخرى، وهذا التعدد نرده إلى هذه الناحية (باب الانحراف عن الأصل) .

مخرج القاف و صفاته:

تباينت آراء علماء اللغة، قدماء و محدثين، في وصف صوت القاف؛ فبينما يذكر اللغويون القدماء ومنهم سيبويه [١٥] ، وابن جني [١٦] ، وابن يعيش [١٧] أنّ صوت القاف صوت انفجاري مجهور يخرج من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى، يذهب علماء اللغة المحدثون، ومنهم جان كانتينو [١٨] ، وبرجشتراسر [١٩] ، وكمال بشر [٢٠] ، ورمضان عبد التواب [٢١] إلى أنّ صوت القاف صوت لهوي انفجاري مهموس، ينطق برفع أقصى اللسان حتى يلتقي بأدنى الحلق و اللهاة مع عدم السماح للهواء بالمرور من الأنف، وبعد ضغط الهواء مدة من الزمن يطلق سراح مجرى الهواء بأن يخفض أقصى اللسان، فجأة يندفع الهواء محدثًا صوتًا انفجاريًا، ولا يتذبذب الوتران الصوتيان عند النطق به، كما يظهر في نطق قراء القرآن الكريم [٢٢].

ومن وصف علماء اللغة، قدماء ومحدثين، لصوت القاف يظهر أنّ الاختلاف بينهما يقع في تحديد مخرج القاف، وصفة الهمس والجهر به. **ويرى كمال بشر** [٢٣] **وعبد القادر عبد الجليل** [٢٤] **أنّ هذا الاختلاف يرجع إلى واحد من اثنين:**

- الأول: لعل علماء العربية أخطأوا في وصف صوت القاف.

- الثاني: وهو ما تشير الدلائل إلى رجحانه، وهو أن العرب ربما كانوا يتكلمون عن قاف تختلف عن قافنا المعاصرة، إذ ليس من البعيد أنهم يقصدون بالقاف، ذلك الصوت الذي يمكن تسميته بالجاف (g) ، أو ما يشبه الكاف الفارسية،وهو ذلك الصوت الذي نسمعه في بعض لهجات الصعيد و ريف الوجه البحري، وهو مايشبه الجيم القاهرية.

وقد أيّد كانتينو [٢٥] ومصطفى حركات [٢٦] الاحتمال الثاني، وهو أنّ القاف كانت تنطق مجهورة، كالجيم القاهرية؛ وذلك لشيوع هذا النطق على ألسنة كثير من الناطقين بالعربية اليوم. يقول كانتينو: « وبما أنّ قسمًا كبيرًا من الألسن الدارجة بالعربية ينطق بقاف مجهورة، أمكننا الاعتقاد على سبيل الاحتمال و الترجيح، بأنّ القاف كان بالفعل حرفًا مجهورًا في العربية القديمة، ويمكن أنّ يكون نطقه مهموسًا في العربية الفصحى اليوم، ناتجًا عن كونه أصبح مهموسًا في اللهجات الحضرية المدنية؛ لأنّ أغلبية المثقفين اليوم هم من أصل مدني».

فمن الطبيعي أن ننحّي الاحتمال الأوّل،إذ ليس علماؤنا الأُوَل بتلك السذاجة حتى يقدموا لنا وصفًا خاطئًا لصوت القاف، وهم أصحاب الريادة في علوم اللغة كلها، لكن ترجيح الاحتمال الثاني أولى؛ لأنه على عناية بالغة بلسان علمائنا الأوَل وفكرهم، فمن السهولة أن يقع التطور التاريخي لصوت القاف من قاف قديمة مجهورة (g) وما زالت آثار نطقها الحقيقي موجودة في اليمن إلى صوت القاف المهموسة التي ننطقها اليوم.

القاف في السامية:

يعود سبب الخلاف بين القدماء والمحدثين إلى أن للقاف ألوفونين أو صورتين صوتيتين في العربية، إحداهما تمثل النطق المجهور، وهوالصوت الذي كان يشكل فونيم القاف في اللهجات النجدية، ومازلنا نسميه في اليمن حتى في تفصحهم، وهذا الصوت هو الذي وصفه القدماء. وأمّا الألوفون الثاني،فهو المهموس الذي استقرت العربية الفصحى على استعماله دون الجهر [٢٧] .

وقد استنتج بروكلمان من موازنة اللغات السامية أنّ صوت القاف صوت مهموس، ذو نطق مهموز، شديد،يتكون عند الطبق [٢٨] . وهو يرى أنّ سبب تغير نطق القاف في اللغة السامية راجع إلى نطقه من أناس ذوي لغات أخرى، فهو يقول: «وقد عانت اللغة السامية في بابل عندما تكلمها أناس ذوو لغات أخرى، من التغييرات التي لايمكن تجنبها في مثل هذه الأحوال، فتحوّل الصوت الطبقي المهموس (ق) في البابلية على الأقل إلى الصوت الغاري المجهور» (ج) [٢٩] .

فالتغير الذي يصيب الأصوات بات واضحًا في عصرنا. فالتحوّل للصوت الطبقي الشديد المهموس (ق) إلى صوت مجهوروقع في بعض لهجات سوريا، كما تحوّل في بعض لهجات البدو كذلك إلى صوت مغور، وفي مصروفلسطين سقط غالبًا، ولم يبق مكانه إلا همزة محققة [٣٠].

وفي جهر القاف وهمسه يرى محمد القماطي أنّه صوت شديد مهموس منفتح، ويرى أنّ السبب الذي دعا علماءنا القدماء أن يصفوه بأنّه مجهور هو المبالغة في تفخيمه و قلقلته، بقوله: «ويصنف علماؤنا السابقون القاف بأنها حرف مجهور، ولعل المبالغة في تفخيمها وقلقلتها يجعلانها تكتسب شيئًا من ذلك» [٣١].

ويقف هنري فليش موقف الجهر من هذا الصوت بقوله: «ولقد كانت القاف مجهورة، حافظ على جهرها أهل البداوة جميعًا، وكان ذلك من خصائصهم مهما اختلف مخرجها لديهم « [٣٢]. ويرى كانتينو أنّ القاف كان في الأول حرفًا مجهورًا في قسم من أقسام العربية على الأقل [٣٣].

أمّا القاف في مقارنة اللغات السامية، فيدل على أنّه صوت شديد مهموس، ففي العبرية ḳōl وفي الآرامية ḳālā وفي الحبشية ḳāl بمعنى صوت في الجميع، وهو ما يقابل في العربية (قَوْل) وفي الآشورية ḳūl u بمعنى صراخ [٣٤]. ويبقى هذا الصوت موجودًا في اللغات السامية كلها على الرغم من تغيير نطقه [٣٥].

وقد فسّر الطيب البكوش ظاهرة جهر القاف وهمسها، بأنّه قد يكون في النطق القديم شبيهًا بالقاف (وهي تقريبًا قاف البدو أو جيم مصر) ، فنحن نلاحظ أنّ البدو – وهم أكثر قربًا من النطق القديم– يستعملون القاف حيث يستعمل أهل المدن والحواضر القاف [٣٦].

فتشارك النطق لصوت القاف بين الجيم المصرية والنطق الحضري لها، مرده إلى تحقق النطق، إذ لا غرابة في نطق الصورتين في اللغات السامية،لاسيما إذا عرفنا أنّ النطق للصوت يتغير بمتغيرات المكان والزمان والشخوص، إضافة إلى أنّ هذا التنوع ليس صعبًا، فليس فيهما تغير كبير. في حين أنهما يقعان بطريقة واحدة تزيد إحداهما عن الأخرى في الشدّة.

مخرج الجيم وصفاته:

يتفق علماء اللغة، قدماء ومحدثون، على تحديد مخرج صوت الجيم، فقد حدّد سيبويه[٣٧] وابن جني [٣٨] مخرج الجيم من وسط اللسان، مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى واتفق معه المحدثون، أمثال: إبراهيم أنيس، [٣٩] وكمال بشر، [٤٠] وهنري فليش، [٤١]

ورمضان عبدالتواب [٤٢] . إلّا أنهم يختلفون في شدته ورخاوته، فالقدماء [٤٣] يرون أنه شديد. أمّا المحدثون [٤٤] ، فيرون بأنّه غير ذلك.

ويتكون صوت الجيم باندفاع الهواء إلى الحنجرة، فيحرك الوترين الصوتيين، ثم يتخذ مجراه في الحلق والفم حتى يصل إلى المخرج، وهو عند التقاء وسط اللسان بوسط الحنك الأعلى التقاء يكاد ينحبس معه مجرى الهواء [٤٥] . ويصف علماء اللغة [٤٦] صوت الجيم بأنّه صوت غاري (وسط الحنك) ، مركب (انفجاري، احتكاكي) ، مجهور، مرقق.

الجيم في السامية:

يُعتقد أنّ الصورة اللفظية المفترضة للجيم في السامية الأم هي صوت الجيم الخالية من التعطيش– (g) ولعل صوت الجيم (ǧ) كما ننطقه في العربية الفصحى و معظم اللهجات العربية المعاصرة من الأصوات المميزة للغة العربية ولهجاتها – ومما يؤكد ذلك خلو جميع اللغات السامية التي نعرفها – ما عدا العربية ولهجاتها – من صوت الجيم المعطشة أو المركبة، ففي العبرية نجد كلمة (جمل) فيها تنطق على هيئة gāmal وفي السريانية gaml ā وفي الجعزية الإثيوبية gamal، في حين هو في العربية ǧamal. ونطق هذا الحرف الأصلي كان (gīm) كما هو الآن في مصر، وكما كان ويكون في اللغات السامية الباقية [٤٧] ، وهو الصوت الذي يشبه الكاف.

ويفسر رمضان عبد التواب ظاهرة التعطيش بأنّ أصوات أقصى الحنك تميل إلى ما يناظرها من الأصوات الأمامية حين تليها في النطق حركة أمامية كالكسرة؛ لأنّ الكسرة تجتذبها إلى الأمام قليلًا، فتنقلب إلى نظائرها من أصوات أقصى الحنك، وتغلب أن تكون من النوع المزدوج،أي الجامع بين الشدة والرخاوة [٤٨] . وهو ما يطلق عليه (قانون الأصوات الحنكية) أو مصطلح التغوير عند ملريوباي [٤٩] . غير أنّ ذلك لم يحدث في البداية في كل جيم، وإنّما كان يقتصر على الجيم المكسورة، ثم عمم القياس في كل جيم طردًا للباب على وتيرة واحدة [٥٠] .

والصفاوية واحدة من اللغات السامية التي درسها يحيى عبابنة إلّا أنّه لا يجزم بالحكم على الشكل الصوتي لنطق الصفاويين لصوت الجيم، وإنما يميل إلى الاعتقاد بأنّهم نطقوها كالعربية الفصحى [٥١] .

وقد مثّل كانتينو الجيم بالقاف (g) الشديدة الحنكية في السامية مع شيء من تحوير النطق، بتقديم مخرجها إلى أدنى الحنك [٥٢]. واستنتج بروكلمان من مقارنة اللغات السامية بعضها ببعض أنّ صوت الجيم صوت شديد، يتكون عند سقف الحنك الصلب (غاري) مجهور[٥٣] .

مخرج الدال وصفاته:

يتفق علماء اللغة،قدماء ومحدثون، على تحديد مخرج صوت الدال، فقد حدد سيبويه [٥٤] وابن جني [٥٥] مخرج الدال مما بين طرف السان واصول الثنايا، واتفق معهم المحدثون، أمثال: إبراهيم أنيس [٥٦] وكمال بشر [٥٧] .

ويتكون باندفاع الهواء مارًا بالحنجرة، فيحرك الوترين الصوتيين، ثم يأخذ مجراه في الحلق والفم حتى يصل إلى مخرج الصوت، فينحبس هناك فترة قصيرة لالتقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا التقاء محكمًا، فإذا انفصل هذا الالتقاء سمع صوت انفجاري نسميه بالدال، فهو – إذن– صوت أسناني لثوي، انفجاري،مجهور، شديد [٥٨] .

الدال في السامية:

الدال صوت موجود في كل اللغات التي نعرفها، والتغيرات التي تطرأ عليه تغيرات تركيبية كما في العبرية و السريانية سببها وجود هذا الصوت الانفجاري مسبوقًا بحركة قصيرة أو طويلة، كما حدث في كلمة (עך) التي تلفظ (ad>) والأصل (ad>) بالدل، وهو صوت ظاهر في اللهجة الصفوية،وهو يمثل فاء الجذر وعينه ولامه [٥٩] . فالدال لم يحدث عليه أي تغير مطلقًا، يؤكد ذلك رمضان عبد التواب بقوله: «يتضح أنّ الدال والطاء والصاد لم يصبها تغيرمطلقًا في أي لغة من اللغات السامية» [٦٠] .

ويؤكد نولدكه ذلك بإشارته إلى أنّ صوت الدال في اللهجات الآرامية صوت أسناني بسيط مشابه للصوت العربي، ويفسر ذلك بأنّ اللغات الساميه – بعد انقسامها إلى قسمين؛ شمالي وجنوبي – احتفظت بهذا الصوت كما في العربية [٦١] .

ويستنتج بروكلمان من مقارنة اللغات السامية بأنّ صوت الدال صوت شديد أسناني مجهور، يتكون بوضع طرف اللسان عند حافة الأسنان العليا [٦٢] .

مخرج الطاء وصفاته:

يتفق علماء اللغة؛ قدماء ومحدثين، على تحديد مخرج صوت الطاء،فقد ذهب سيبويه [٦٣] وابن جني [٦٤] بأنّه من طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا، واتفق معهم المحدثون، أمثال: إبراهيم أنيس [٦٥] وكمال بشر [٦٦] وبرجشتراسر [٦٧] .

أما الاختلاف، فقد وقع في جهر الطاء وهمسه، فوصفه علماء اللغة القدماء [٦٨] بالجهر، في حين وصفه علماء اللغة المحدثون [٦٩] بالهمس. ويفسر كمال بشر [٧٠] وصف القدماء للطاء بأنه مجهور بتفسيرات ثلاث، أولها: أنّ العلماء القدماء أخطأوا التقدير، أي:

تقدير وضع الأوتار الصوتية حال النطق بالصوت. وثانيها: تطور في نطق الطاء، فلعلّهم كانوا ينطقونه بما يشبه نطق الضاد الحالية. وثالثها: أنّهم كانوا يصفون صوتًا يشبه صوت الطاء الذي نسمعه في بعض لهجات الصعيد، وهو صوت طاء مشربة بالتهميز.

والظاهر أنّ الطاء التي تجري على ألسنتنا اليوم طاء حديثة لم تعرفها العربية من قبل، وهي مهموسة كما يقول المحدثون، جرى على نطق الطاء القديمة تطور بفعل التاريخ.

ويتكون صوت الطاء بأن يتخذ الهواء مجراه في الحلق والفم حتى ينحبس بالتقاء اللسان مع الحنك الأعلى، ويتخذ اللسان شكلًا مقعرًا منطبقًا يرجع إلى الوراء قليلًا، فهو صوت شديد مهموس الآن (٧١).

الطاء في السامية:

لا تخلو أي لغة سامية من عدد من أصوات الحلق والإطباق، وهي في اللغات السامية تكون وحدات صوتية متميزة، وأكثر أصوات الإطباق ثباتاً في اللغات السامية: الصاد والقاف والطاء، فهذه الأصوات الثلاثة موجودة في كل اللغات السامية القديمة (٧٢).

ويبدو أنّ وجود الطاء في جلّ اللغات السامية يستدعي الركون إلى ثبات الطريقة التي يأتي عليها هذا الصوت، والهيئة التي يخرج بها، ويؤكد ذلك حازم كمال الدين بقوله: عندما ننظر في الأصوات الصامتة في اللغة العربية وأخواتها الساميات، نلاحظ اتفاق اللغات السامية في بعض الأصوات، منها: الدال والطاء والقاف (٧٣).

قلقلة أصوات (قطب جد):

يتكون الصوت الشديد (الانفجاري) من حبس وإطلاق، وصوت يتبع الإطلاق، فالحبس يتم باتصال عضوين، ينتج عنه وقف المجرى الهوائي وقفًا تامًا. والإطلاق يتم بانفصال العضوين انفصالًا سريعًا يحدث عنه انفجار الهواء، ويلاحظ أنّ اندفاع الهواء يستمر زمنًا محسوسًا بعد انفراج العضوين، ولذلك لا يتأتى نطق الصوت الشديد، النطق الكامل من غير أن يتبع بصوت آخر مستقل عنه (٧٤).

وقد لاحظ سيبويه هذه الخاصية في الأصوات عند الوقف عليها، وذلك حيث قال: «واعلم أنّ من الحروف حروفًا مشربة ضغطت من مواضعها، فإذا وقفت خرج معها من الفم صويت، ونبا اللسان عن موضعه، وهي حروف القلقلة... وذلك القاف والجيم والطاء والدال والباء، والدليل على ذلك أنّك تقول: الحِذْقْ، فلا تستطيع أن تقف إلّا مع الصويت لشدة ضغط الحرف، وبعض العرب أشد صوتًا، كأنهم الذين يرومون الحركة» (٧٥).

فالقلقلة تعني: «تحويل أعضاء النطق من مخرج النطق بصوت لغوي إما إلى مخرج صوت آخر، أو إلى حال الإستراحة بكيفية تؤدي إلى فتح الإغلاق أو إزالة التضييق» (٧٦).

فاتباع الأصوات بصوت أو بحركة خفيفة عندما تكون ساكنة، مرجعه إلى التحقيق الكامل لخواص هذه الأصوات، أي تحقيق الأنفجار والجهر، ويفسر ذلك كمال بشر بأنّ نطق هذه الأصوات نطقًا كاملًا واضحًا حالة السكون يستدعي جهدًا كبيرًا؛ لأنّ شدتها تعني أنّ الهواء عند نطقها محبوس حبسًا تامًا، وأنّ جهرها يعني عدم جريان النفس معها، لذا وجب اتباع هذه الأصوات بصويت؛ لتنقلها من السكون إلى شبه تحريك حتى يتحقق نطقها كاملاً (٧٧).

ويبدو أنّ تسمية هذه الظاهرة بالقلقلة مرتبط بالمعنى اللغوي ارتباطًا وثيقًا، إذ يقال: قلقل الشيء قلقله إذا حركه (٧٨). مع احتمال أن يكون أصل التسمية من دلالة الكلمة على شدة الصوت، كما يراها ابن الحاجب بقوله: « من قولهم: قلقله إذا حرّكه» (٧٩).

ولا تضفي القلقلة على الأصوات المقلقلة خصوصية لازمة لها ذات تأثير في المعنى وتوجيه له، مما تقتضيه وظيفة الوحدة الصوتية المميزة (٨٠).

وأخيرًا، يكشف التسطيح اللغوي السابق لأصوات القلقلة في الدرس السامي اختلاف علماء اللغة،قدماء ومحدثين، في تحديد بعض مخارج الأصوات وصفاتها، الأمر الذي يستدعي الوقوف عند قلقلتها. فقد اتفق علماء اللغة، قدماء ومحدثون، على جهر صوتي الباء والدال، في حين اختلفوا في جهر االقاف والطاء والجيم، فبينما يشير القدماء إلى جهر هذه الأصوات، يرى المحدثون أنها مهموسة. عندئذٍ تكون القلقلة خاصة بصوتي الباء والدال فقط من وجهة نظر المحدثين، وتكون فيها جميعها في نظر القدماء. فالصفة الانفجارية سبب في حدوث القلقلة، وقد فسّر إسماعيل عمايرة (٨١) عدم حدوث القلقلة في بنية الأصوات الانفجارية الأخرى؛ الهمزة والكاف والتاء و الضاد، فكفانا مؤونة بحثها هنا.

ويبدو أنّ هذا الخلاف يعود إلى البعد الزمني بين فئتي العلماء، فالمحدثون يجدون تنوعات نطقية لهذه الأصوات، وتباينًا بينها وبين وصف القدماء لها، الأمر الذي استدعى مثل هذا الخلاف، من جهة أخرى ربما لا تسعف الكتابة القدماء؛ ليصفوا تلك الاصوات، لذا– ربما – جانبت الدقة وصفهم لها مئة بالمئة. وعليه يمكن القول: إنّ القطع في تحديد المنطوق الأصلي (الأول) والوصف له من القدماء ثم المحدثين من الصعوبة بمكان، إذ المحدِّد لهذا الأمر في الحقيقة هو السماع، وهو أمر يستحيل الآن.

هذا التعدد النطقي لهذه الأصوات يجعل احتمالية تعالق اللغات السامية بعضها ببعض، أو يجعل وجود لغة أم لتلك اللغات وبقية اللغات أفرع لها أمرًا ليس ببعيد. لكن

الصعوبة في معرفة تلك اللغة الأقدم ساميًا بناءً على هذا التعدد النطقي. وإبداء الرأي هو القائم في ظل هذا التشابك في الأفكار القاطعة بالأمر. ولعل الانتباه إلى هذا التشابه وتلك الصلات بين اللغات السامية يشكل جانبًا من المعرفة اللغوية للغويين العرب، فلو كان ذلك هدف البحث لكفى، لكن الحقيقة أنّ مثل هذا البحث يقربنا من الوصول إلى حقيقة العلاقات بين فروع اللغات السامية، في ما هو يقربنا بالتفسير الوصول إلى النطوقات الأولى لتلك الأصوات.

كما أنّ التسطيح يكشف عن ندرة الدراسات الصوتية في اللغات السامية، بآية ما قدمناه في البحث من نصوص علمائنا توضح أنّها موجودة في العربية والسامية ومتأكدة جدًا. والمثاقفة حولها إنما هي مثاقفة تخصيصية جدًا بين ذوي البصائر في اللغة، أو من هم مقاربون لهم في السامية.

وكذا ينتهي ما أردنا عرضه، فنحن لا نريد فيه قطع القول، وإنّما نقتصر على ما نظفر به بالبسط والطريقة والنهج حول موضوع: التنوعات النطقية السامية للأصوات اللغوية المقلقلة.

الخاتمة:

أصوات (قطب جد) ظاهرة صوتية، يلجأ إليها المشرّع الصوتي في دراسة ما يسمى (القلقلة) ، فهي عمل مشروع في وحدتها؛ لاتصالها في كثير من شمائلها، إلّا أنّ طرحها ساميًا مازال فتيًّا. ولا يقل لفت النظر إلى قضية ما عن البحث عميقًا فيها، فأحايين كثيرة يبقى الموضوع غائبًا عن البحث رغم الوقوف عنده مرارًا، لذا كان هذا البحث في هذا المجال مصرّعًا لمفاهيم تلك الأصوات المعنية فيه، من اتفاق واختلاف، قديمًا أو حديثًا، **ومبرزاً قضايا مهمة منها**:

١. اتفاق علماء اللغة، قدماء ومحدثين، في تحديد مخارج بعض هذه الأصوات واختلافهم في بعضها.

٢. وصف هذه الأصوات في النطق العربي والسامي قد يصل بنا إلى الأصل المشترك.

٣. أصابت التغييرات التاريخية هذه الأصوات فولّدت التنوع النطقي لها.

٤. اتفاق اللغات السامية في بعض الأصوات كالدال والطاء والقاف.

٥. لا تضفي القلقلة على هذه الأصوات خصوصية مرتبطة بالمعنى.

٦. القلقلة خاصة بصوتي الباء والدال فقط من وجهة نظر المحدثين.

الهوامش:

١. ينظر، سيبويه: الكتاب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٩٨٢، ٤/ ٤٣٣.

٢. ينظر، ابن جني: سر صناعة الإعراب، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، مطبعة مصطفى البابلي الحلبي وأولاده، مصر، ط١، ١٩٥٤، ١/ ٥٣.

٣. ينظر، ابن يعيش، شرح المفصل، عالم الكتب الحديث، بيروت، ١٠/ ١٢٤.

٤. ينظر، إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٢، ص٤٥.

٥. ينظر،كمال بشر، علم اللغة العام(الصوتيات) ، دار المعارف، مصر، ١٩٧٥، ص١٠١.

٦. ينظر، السابق،ص١٠١.

٧. ينظر، رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٨٢، ص٤٢.

٨. ينظر، كمال بشر، الأصوات العربية، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٨٧، ص١٠١.

٩. جان كانتينو، دروس في علم أصوات العربية، ترجمة: صالح القرمادي، الجامعة التونسية، تونس، ١٩٦٦،ص٤٢.

١٠. هنري فليش، العربية الفصحى نحو بناء لغوي جديد، تعريب وتحقيق: عبد الصبور شاهين، دار المشرق، بيروت، ط٢، ١٩٨٣، ص٣٨.

١١. كارل بروكلمان، فقه اللغات السامية، ترجمة: رمضان عبد التواب، مطبوعات جامعة الرياض، السعودية، ١٩٧٧، ص٥١.

١٢. إسماعيل عمايرة، بحوث في الاستشراق واللغة، دار وائل، عمان، ط٢، ٢٠٠٣، ص١٩٥.

١٣. بروكلمان، فقه اللغات السامية، ص٣٩.

١٤. ينظر، رمضان عبد التواب، التطور اللغوي، مظاهره وعلله وقوانينه، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص١٧.

١٥. ينظر، سيبويه، الكتاب، ٤/ ٤٣٣.

١٦. ينظر، ابن جني، سر صناعة الإعراب، ١/ ٥٢.

١٧. ينظر، ابن يعيش، شرح المفصل، ١٠/ ١٢٩.

١٨. ينظر، كانتينو، دروس في علم أصوات العربية، ص١٠٧.

١٩. ينظر، برجشتراسر، التطور النحوي، ترجمة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ٢٠٠٣، ص١٢،١٥.

٢٠. ينظر، كمال بشر، علم اللغة العام، ص١٠٩.

٢١. ينظر، رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة، ص٥٤،٧٨.

٢٢. ينظر، كمال بشر، علم اللغة العام،ص١١٠، ورمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة،ص٥٤.

٢٣. ينظر، كمال بشر، علم اللغة العام، ص١١٠.

٢٤. ينظر، عبد القادرعبد الجليل، الأصوات اللغوية، دار صفاء، عمان، ط١، ١٩٩٨، ص١٨٠.

٢٥. كانتينو، دروس في علم أصوات العربية، ص١٠٧.

٢٦. ينظر، مصطفى حركات، الصوتيات والفنولوجيا، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٩٩٨، ص١٢٠.

٢٧. يحيى عبابنة، النظام اللغوي للهجة الصفاوية في ضوء الفصحى واللغات السامية، منشورات جامعة مؤتة، ط١، ١٩٩٧، ص١٣٥.

٢٨. بروكلمان، فقه اللغات السامية، ص٣٩.

٢٩. السابق، ص١٦.

٣٠. السابق، ص٤٨.

٣١. محمد القماطي، الأصوات ووظائفها، ص٦٥

٣٢. هنري فليش، العربية الفصحى، ص٣٨.

٣٣. كانتينو، دروس في علم أصوات العربية، ص٣٥.

٣٤. ينظر، رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة، ص٢٢٢، والتطور اللغوي، ص٢٠.

٣٥. ينظر، محمود فهمي حجازي، علم اللغة العربية، مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية، مكتبة غريب، القاهرة،ص١٤١، وينظر، حازم كمال الدين، دراسة في علم الأصوات، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٩٩، ص٤٦.

٣٦. الطيب البكوش، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، ط٣، ١٩٩٢، ص٤٢.

٣٧. سيبويه، الكتاب، ٤/ ٤٣١.

٣٨. ابن جني، سر صناعة الإعراب، ١/ ٥٢.

٣٩. إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص٧٧.

٤٠. كمال بشر، الأصوات العربية، ص٩١.

٤١. هنري فليش، العربية الفصحى، ص٣٨.

٤٢. رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة، ص٢٢١.

٤٣. ابن جني، سر صناعة الإعراب، ١/ ٦٩.

٤٤. إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص٧٨.

٤٥. السابق، ص٧٧.

٤٦. ينظر، كمال بشر، علم اللغة العام، ص٩٠، وعبد القادرعبد الجليل، الأصوات اللغوية،ص٧٦.

٤٧. ينظر، أنوليتمان، بقايا اللهجات العربية في الأدب العربي، كجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، م ١٠، ج١، ١٩٤٨، ص١– ٢، وينظر، برتيل مالبرج، علم الأصوات، تعريب: عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٨٤، ص١١٣.

٤٨. رمضان عبد التواب، التطور اللغوي، ص٩٢.

٤٩. ماريوباي، أسس علم اللغة، ترجمة: أحمد مختار، عالم الكتب، القاهرة، ط٣، ١٩٨٧، ص١٤٤.

٥٠. رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة، ص٢٢١. والتطور اللغوي، ص٩٢.

٥١. يحيى عبابنة، النظام اللغوي للهجة الصفاوية، ص٦٨.

٥٢. كانتينو، دروس في علم أصوات العربية، ص٨٨.

٥٣. بروكلمان، فقه اللغات السامية، ص٣٩.

٥٤. سيبويه، الكتاب، ٤/ ٤٣٣.

٥٥. ابن جني، سر صناعة الإعراب، ١/ ٥٣.

٥٦. إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص٤٨.

٥٧. كمال بشر، علم اللغة العام، ص١٠٢.

٥٨. ينظر، إبراهيم أنيس، الاصوات اللغوية،ص٤٨. وكمال بشر، الاصوات العربية، ص١٠٢.

٥٩. ينظر، يحيى عبابنة، النظام اللغوي للهجة الصفاوية، ص٨٤.

٦٠. ينظر، رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة، ص٢١٧.

٦١. ينظر، نولدكه، اللغات السامية، ترجمة: رمضان عبد التواب، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٣، ص٣٠.

٦٢. ينظر، بروكلمان، فقه اللغات السامية، ص٣٩.

٦٣. سيبويه، الكتاب، ٤/ ٤٣٣.

٦٤. ابن جني، سر صناعة الإعراب، ١/ ٥٣.

٦٥. إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص٦١.

٦٦. كمال بشر، الأصوات العربية، ص١٠٢.

٦٧. برجشتراسر، التطور النحوي، ص١٢.

٦٨. ينظر، سيبويه، الكتاب،٤/ ٤٣٤. وابن جني، سر صناعة الإعراب،١/ ٦٨.

٦٩. ينظر، إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية،ص٦٣. وكمال بشر، الأصوات العربية،ص١٠٢. وبرجشتراسر، التطور النحوي، ص١٦.

٧٠. ينظر، كمال بشر، الأصوات العربية، ص١٠٣.

٧١. ينظر إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص٦٢.

٧٢. محمود فهمي حجازي، علم اللغة العام، ص١٤١.

٧٣. حازم كمال الدين، دراسة في علم الأصوات،ص٤٦، وينظر في هذا المعنى،رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة،ص٢١٧.

٧٤. ينظر، محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار المعارف، مصر، ١٩٦٢، ص١٦٦،١٧١.

٧٥. سيبويه، الكتاب، ٤/ ١٧٤.

٧٦. محمد القماطي، الأصوات ووظائفها، منشورات جامعة الفاتح،١٩٨٦، ص٥٩.

٧٧. كمال بشر، الأصوات العربية، ص١١٦.

٧٨. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، مادة(قلل) .

٧٩. ابن الحاجب، الإيضاح في شرح المفصل، تحقيق: موسى بناي العليلي، مطبعة العاني، بغداد، الكتاب الخمسون، ٢/ ٢٨٨.

٨٠. ينظر، محمد القماطي، الأصوات ووظائفها، ص٦٠.

٨١. ينظر، إسماعيل عمايرة، بحوث قي الاستشراق واللغة، ص٢١١.

المصادر والمراجع:

١. ابن جني، أبو الفتح، سر صناعة الإعراب، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط١، ١٩٥٤.

٢. ابن الحاجب، أبو عمرو، الإيضاح في شرح المفصل، تحقيق: موسى بناي العليلي، مطبعة العاني، بغداد، الكتاب الخمسون.

٣. ابن منظور، أبو الفضل، لسان العرب، دار صادر، بيروت.

٤. ابن يعيش، أبو البقاء، شرح المفصل، عالم الكتب الحديث، بيروت.

٥. أنوليتمان، بقايا اللهجات العربية في الأدب العربي، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة.

٦. أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٢.

٧. برجشتراسر، التطور النحوي، ترجمة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ٢٠٠٣ .

٨. بروكلمان، كارل، فقه اللغات السامية، ترجمة: رمضان عبد التواب، مطبوعات جامعة الرياض، السعودية، ١٩٧٧.

٩. بشر، كمال،

* الأصوات العربية، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٨٧.

* علم اللغة العام(الصوتيات) ، دار المعارف، مصر، ١٩٧٥.

١٠. البكوش، الطيب، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، ط٣، ١٩٩٢.

١١. حجازي، محمود فهمي، علم اللغة العربية، مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية، مكتبة غريب، القاهرة.

١٢. حركات، مصطفى، الصوتيات والفنولوجيا، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٩٩٨.

١٣. السعران،محمود، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار المعارف، مصر، ١٩٦٢.

١٤. سيبويه،عمر بن قنبر،الكتاب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٩٨٢.

١٥. عبابنة، يحيى، النظام اللغوي للهجة الصفاوية في ضوء الفصحى واللغات السامية، منشورات جامعة مؤتة، ط١، ١٩٩٧.

١٦. عبد التواب، رمضان،

* التطور اللغوي، مظاهره وعلله وقوانينه، مكتبة الخانجي، القاهرة.

* المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١،١٩٨٢

١٧. عبد الجليل، عبد القادر، الأصوات اللغوية، دار صفاء، عمان، ط١، ١٩٩٨.

١٨. عمايرة، إسماعيل، بحوث في الاستشراق واللغة، دار وائل، عمان، ط٢، ٢٠٠٣.

١٩. فليش، هنري، العربية الفصحى نحو بناء لغوي جديد، تعريب وتحقيق: عبد الصبور شاهين، دار المشرق، بيروت، ط٢، ١٩٨٣.

٢٠. القماطي، محمد منصف، الأصوات ووظائفها، منشورات جامعة الفاتح، ليبيا، ١٩٨٦.

٢١. كانتينو، جان، دروس في علم أصوات العربية، ترجمة: صالح القرمادي، الجامعة التونسية، تونس، ١٩٦٦.

٢٢. كمال الدين، حازم، دراسة في علم الأصوات، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٩٩.

٢٣. ماريوباي، أسس علم اللغة، ترجمة: أحمد مختار، عالم الكتب، القاهرة، ط٣، ١٩٨٧.

٢٤. مالبرج، برتيل، علم الأصوات، تعريب: عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٨٤

٢٥. نولدكه، تيودور، اللغات السامية، تخطيط عام، ترجمة: رمضان عبد التواب، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٣.